يقظة السلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على خاتم انبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

ما أحوجنا جميعاً إلى يقظة صادقة وصحوة مباركة، ندفع بها هـوْل الرقْدَةِ وغمرةَ الفترةِ التي غمرتنا فَحَجَبَتْنا عن بلوغ المعالي، ومَنَعَتْنا من التسابقِ إلى ميدان الباقيات الصالحات.

فاليقظة أولُ تنبيه يتعرض له القلب، فيشاهد بواسطته حقائق امور وخَلَل الظاهر والباطن.

فهي الإرهاص الأول لتصحيح المسار وتعديل الوجْهة..

وهي البداية الحقيقية للاستقامة على الأمر والنهي.. وهي الوثبةُ الأولى للنهوض من ورطةِ الغلة ومحنة التقصير.

روعة اليقظة

قال ابن القيم- رحمه الله-: فأول منازل العبودية: (اليقظة) وهي انزعاج القلب لروعةِ الانتباه من رقْدةِ الغافلين.. ولله ما أنفعَ هذه الروعة! وما أعظم قدْرَها وخطرها!

وما أشدَّ إعانَتَها على اسلوك!

فمن أحسَّ به- أي بهذا الانزعاج- فقد أحسّ- والله- بالفلاح، وإلا فهو سكرات الغفلة... فإذا انتبه شمَّر لله بهمته إلى السفر إلى منازله الأولى، وأوطانه التي سُبي منها.

فحــيَّ على جنات عدنٍ فإنَّها

منازلك الأولى وفيها المخيَّمُ

وكننا سبيُ العدوِّ فهـل ترى

نعود إلى أوطاننا ونُســلَّم

فأخذ في أُهبة السفر، فانتقل إلى منزل العزم، وهو العقد الجازم على المسير، ومفارقة كلّ قاطع ومعوّق، ومرافقة كلّ معين وموصّل.

وبحسب كمال انتباهه ويقظته يكون عزمه، وبحسب قوة عزمه يكون استعداده).

فهل أنت مستعدٌّ- أخي الحبيب- لهذه اليقظة المباركة؟

هل أنت متشوقٌ لهذا التوجّه الجديد؟

هل أنت جاهزٌ لهذا التحوُّل في مسيرةِ حياتك؟

إنه- والله مستقبلك الحقيقي، وسعادتك الأبديةُ التي إن فَقَدْتها وحُرمت منها فقد خبت وخسرت وحاد بك الشقاء من جميع جهاتك، ولزمتك الحسرةُ والندامة.. وليت حين مندم.

إننا لا ندعوك إلى عمل شاق يصعُب عليك.. إننا ندعوك فقط وقفة تأمل، وفكرةٍ حقيقية في المصير والمآل، ومراجعةٍ حثيثة لما قدّمت وما ينتظرك.

فالأمر خطير.. ونذيرُ الموت يتربص، والنهاية الحقيقية في كلمتين: يا أهل الجنة، خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت.

أيُّ قيمة للحياة الدنيا بالنسبة لهذا الخلود الذي لا حدود له؟!

وأيُّ قيمة للذات الدنيا كلِّها إذا كان المصير في جهنم!!! نعوذ بالله منها.

وأي قيمة لتعب الإنسان وكدِّه ومواصلته الليل والنهار في عبادة الله ﷻ عند رؤية ما أعدّ الله لعباده المؤمنين في الجنة؟!!

نسأل الله الجنة ونعيمها.

۞ قال النبي ﷺ : ﴿ **يُؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيُصبغُ في النار صَبْغَةً. ثم يقال: يا ابن آدم! هل رأيت خيراً قطُّ؟ هل مرَّ بك نعيم قطُّ؟ فيقول: لا والله يا ربّ!! ويُؤتَى بأشدِّ الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة، فيَصْبُغُ صَبْغَةً في الجنة، فيقال له: يا ابن آدم! هل رأيتَ بؤساً قطُّ؟ هل مرَّ بك شدةٌ قطُّ؟ فيقول: لا والله يا ربّ! ما مرَّ بي بؤسٌ قط، ولا رأيتُ شدةً قطُّ** ﴾ [رواه مسلم]

هذا ما يحدث عند أول غمسة فقط...

فكيف بما يكون بعد ذلك حينما يُعرض على المؤمن من أنواع النعيم والإكرام، ويُعرض على الكافر أنواع العذاب والنكال.؟

أليس هذا الأمر جدير بأن نوجِّه له فكـرنا وعنايتنا ولا نغفل عنه البتة؟!

أليس يحتاجُ منا إلى وقفة.. بل وقفات..

فمتى نستيقظ أخي من رقدتك؟!

يقظـــة السلف

❁ **قال ابن القيم- رحمه الله-:** ومن تأمل أحوال الصحابة رضي الله عنهم وجدَهُم في غاية العمل مع غاية الخوف.. ونحن جمعنا بين التقصير، بل بين التفريط والأمن).

هكذا يقول ابن القيم الإمام الزاهد العابد الورع...

فماذا أقول أنا وأنت؟!

❁ **وقال خليد العصري- رحمه الله-:** كلنا قد أيقن بالموت، وما نرى له مستعداً، وكلنا قد أيقن بالجنة، وما نرى لها عاملاً، وكلنا أيقن بالنار، وما نرى لها خائفاً.

فعلامَ تفرحون؟

وما عسيتم تنتظرون؟

أما الموت فهو أول واردٍ عليكم من الله ﷻ بخيرٍ أو بشرٍّ؛ فيا إخوتاه! سيروا إلى ربكم سيراً جميلاً.

❁وكان الحسن يقول: التنور يُسجر، والسكين تحدّ، والكبش يعلف، وقال:

- عجباً لقوم أُمروا بالزاد، ونودي فيهم بالرحيل، وحُبس أولهم على أخرهم، وهم قعود يلعبون.
- وكان رحمه الله يقول: رحم الله امرأً نظر ففكَّر، وفكَّر فاعتبر، واعتبر فأبصر، وأبصر فصبر).

وقال: ابن آدم، ما أوهنـك وما أكثر غفلتك؛ تعيب الناس بالذنوب وتنساها من نفسك، وتبصر القذى في عين أخيك، وتعمى عن الجذْع معترضاً في عينك!!

ما أقلَّ إنصافك، وأكثر حَيْفَك.

وقال: إن المؤمن يصبح حزيناً ويمسي حزيناً، ولا يسعه غير ذلك، لأنه بين مخافتين؛ بين ذنب قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه، وبين أجل قد بقي لا يدري ما يصيبه فيه من المهلك.

وقال أبو عمران الجويني: لا يغرنكم من ربكم ﷻ طول النسيئة، فإن أَخْذَهُ أليمٌ شديد.

وقال سفينا بن عيينة: كان رجل من السلف يلقي الأخ من إخوانه فيقول: يا هذا! إن استطعت ألا تسيء إلى مَنْ تحب فافعل.

فقال رجل: وهل يسيء الإنسان إلى مَنْ يحب؟

قال: نعم؛ نفسك هي أعزُّ الأنفس علي، فإذا عصيت الله تعالى فقد أسأت إليها.

وقال خويل ن محمد:

كأن خويلاً قد أوقف للحساب فقيل له: يا خويل بن محمد! قد عَمّرناك ستين سنة، فما صنعتَ فيها؟

فجمعت نوم ستين سنة مع قائلة النهار فغذا قطعة من عمري نوم. وجمعت ساعات أكلي، فإذا قطعة من عمري قد ذهبت في الأكل. وجمعت ساعات وضوئي، فإذا قطعة من عمري قد ذهبت فيها، نظرت في صلاتي، فإذا صلاة منقوصة، وصوم متمزق، فما هو إلا عفو الله تعالى أو الهـلـكة.

❁ **وقال بعض السلف:** ما نمتُ نوماً قطُّ فحدَثتُ نفسي أني أستيقظ منه.

❁ **وقال الفضيل بن عياض:** المؤمن في الدنيا مهموم حزين، همُّه مرمُّةُ جهازه.

المؤمن في الدنيا مهموم حزين، همُّه مرمُّةُ جهازه.

❁ **ودخل رجل على أبي ذر**، فجعل يقلِّب بصره في بيته، فقال: يا أبا ذر! أين متاعكم؟

قال: إن لنا بيتاً نوجَّه إليه- يعني القبر وما بعده من منازل الآخرة- قال الرجل: إنه لا بد لك من متاع ما دمت هاهنا- يعني في الدنيا- فقال أبو ذرّ: إن صاحب المنزل لا يدعنا فيه.

❁ **وكان محمد بن واسع** إذا اراد أن ينم قال لأهـلـه: استودعكم الله، فلعلّها أن تكون منيتي التي لا أقوم منها، فكان هذا دابه إذا أراد أن ينام.

❁ **وكان أويس إذا قيل له:** كيف الزمان عـيك؟

قال: كيف الزمان على رجلٍ إن أمسى ظن أنه لا يصبح، وإن أصبح ظن أنه لا يمسي، فيبشر بالجنة أو النار.

❁ أخي الحبيب هكـذا كان- والله- سلف هـذه الأمـة..

يقظة تامة.. علم وعمل..

وزهد وورع.. عبادة واستعانة.. يقين وتوكل.. رغبة ورهبة.. إخلاص ومتابعة.. ذكر وشكر.. ونصح وتذكر.

ولقد كـــانوا- أخي- بشراً مثلنا، ليسوا ملائكة ولا أنبياء، فلماذا تخلفنا عن طريقهم، وتنكبنا سبيلهم، وفرَّطنا في منهاجهم؟

إنها-والله- أسئلة تحتاج منا إلى إجابات شافية، فإن الأمر جدّ خطير، والقضية قضية مآل ومصير، فلنقذ أنفسنا بيقظة عاجلة، ولنطرد عنا غبار الكسل وركام الغفلة والتسويف.

من فوائد اليقظــة

إذا استيقظ قلب الإنسان أوجب له ذلك فوائد عديدة منها:

١- تنبه العبد غلى تقصير في حقِّ ربِّه.

٢- الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة.

٣- محاسبة النفس.

٤- قصر الأمــل

٥- كثرة ذكر الموت.

٦- الاعتبار بسنن الله التي لا تبديل ولا تتغير.

٧- الإخلاص والحذر من الرياء.

٨- الاعتصام بالسنة والحذر من البدعة.

٩- كثرة ذكر الله عز وجل وشكره وحسن عبادته.

١٠- تعظيم الأوامر بفعلها، والمناهي بتركها.

١١- التواضع وترك العُجب والغرور. قال مورّق العجلي: (خير من العجب بالطاعة ألّا تأتي بطاعة)

١٢- تحديق النظر في ملكوت السماوات والأرض، والتأمل في آيات الله الجلوّة.

١٣- الاهتمام بشأن الوقت، والحذر من إهداره فيما لا يفيد.

١٤- تفريغ القلب من الشوال الدنيوية.

١٥- الاعتدال في الطعام والشراب والنوم ومخاطة الأنام.

١٦- قلة الضحـك والمزاح.

نسأل الله تعالى أن يحيي قلوبنا بتعظيمه والإخبات إليه، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.